اثر حكايات ألف ليلة وليلة في مسرحيات فلاح شاكر
ليلة من ألف ليلة وليلة أنموذجاً

م.م. هاله حسن سبتي

جامعة البصرة - كلية الفنون الجميلة - قسم الفنون المسرحية

الخلاصة

على امتداد قرون طويلة من الحضارة الإنسانية، وفي مديات العمق الثقافي للموروثات الشعبية والتقاليد الأدبية تبرز حكايات ألف ليلة وليلة كشاهد حضاري وثقافي لما يزال إشعاعه مستمراً منذ وجوده في صورته النهائية إلى يومنا هذا.

وقد شمل هذا الإشعاع مختلف ميادين الإبداع من شعر وقصة ورواية ومسرحية، بل تعداه إلى فنون أخرى استلهم مبدعوها حكايات ألف ليلة وليلة ووظفوها في أعمالهم الإبداعية. وقد تباينت طبيعة ذلك التوظيف وفقا للمجتمع والعصر الذي يعيش فيه الفنان أو الأديب.

وامتد تأثير الحكايات الألفية العربية إلى الشرق والغرب، واغتنى بمادتها ألفنية والدرامية الكثير من أعمال ألفنانين التي خلدتهم عبر التاريخ.

وقد وجدت الباحثة أن اثر حكايات ألف ليلة وليلة في الأدب المسرحي يأخذ أهمية جديرة بالدراسة والبحث وخاصة أنها تعد موروثاً عربياً يمثل أمجاد الأمة، ومن الضروري أن نمد الجذور مع ذلك الماضي والنظر إليه بعين عصرية لخلق عملية التواصل الحضاري.

وحيث إن الكاتب العراقي فلاح شاكر من أكثر الكتاب المسرحيين تأثراً بحكايات الليالي في مسرحه، ولأنه وظف المادة التراثية التي تمثلها الحكايات وفق صورة عصرية ترتقي إلى هموم المجتمع الذي يعيش فيه، ولأنه يمثل بذاته توجهاً ينبغي أتباعه في محاولة البحث عن هوية للمسرح العربي، فقد وجهت الباحثة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

عنـــاية بحثها لهذا الموضوع تحت عنـــوان ((اثر حكايات ألف ليلة وليلة في مسرحيات فلاح شـــاكر)) وجاء البحث بأربعة فصول:

تمثل الفصل الأول في الإطار المنهجي للبحث وفيه مشكلة البحث، أهمية البحـــث، أهـــداف البحـــث المتمثلة في البحث عن الملامح الدرامية في الحكايات وتأثر الكاتب فلاح شاكر بها.

وفي الفصل الثاني جاء الإطار النظري، وقد احتوى على أربعة مباحث تناول الأول معالجة تاريخية لإثبات هوية الليالي العربية، والمبحث الثاني والثالث تناول اثر حكايات ألف ليلة وليلة في المسرح العـــالمي والعربي والعراقي مستعرضاً أهم الكتاب والمسرحيات، وخلاصة لأبرز تلك المسرحيات.

وفي المبحث الرابع تناولت الباحثة الملامح الدرامية في الحكايات مستخلصة أهم السمات التي تقربها في التناول من النص المسرحي. واختتم الفصل بمؤشرات الإطار النظري.

أما الفصل الثالث فهو لإجراءات البحث ومجتمع البحث والعينة التي اختارتها الباحثة مـــن مجتمـــع البحث لغرض تحليلها، ثم اختتم البحث بالفصل الرابع الذي تـــضمن نتـــائج تحليـــل العينـــات ومـــن ثـــم الاستنتاجات التي تم التوصل إليها وألحقتها بقائمة تضم مصادر البحث.

الفصل الأول: الإطار المنهجي

مشكلة البحث

تلعب الموروثات الشعبية دوراً مهماً في حياة المجتمعات الإنسانية، وتكتسب حـــضورها وديمومتهـــا لأنها تمثل خير أصالة الماضي وعمقه.

ويمكن عدها جانباً مكملا لحضارة الشعوب وثقافاتها، لأنها تنطلق أساساً مع نشأة الإنسان وتعامله مع الظواهر الطبيعية، وبذلك أصبحت أداة تواصل بين الآباء والأجداد والأحفاد عبر ما يتنـــاقلون مـــن تلـــك الموروثات.

ومن الموروث الشعبي ما هو مترسب في الوعي الجمعي عبر توالي العصور، لأنه يحكـــي عـــادات وتقاليد المجتمع الذي يصوره، وانطلقا لمعالجة هموم إنسانية وبالتالي يكتسب خلوده عبر العصور.

وبذلك يصبح الموروث أدباً إنسانياً يتكون من أمهات الآثار الممثلة لتراث الإنسانية (أنها أمجاد العالم وكل ما يربط الصلة بين القوميات دون أن ينسلخ من قوميته) (١) فهي ملك للإنسانية.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ولعل كتاب ألف ليلة وليلة من أهم الكتب التي تنتمي إلى الأدب الإنساني، وقد جاءت شهرته بعد أن ترجم إلى الفرنسية على يد الأديب ألفرنسي (أنطوان غالان) من سنة١٧٠٤ إلى سنة ١٧١٧ وصدر في اثني عشر مجلداً.

وكانت هذه الترجمة منطلقاً لطبعات كثيرة ابتداءً منذ عام ١٨٢٣ حين ترجم إلى الألمانية وحتى عام ١٩٤٨ حين ترجم إلى الايطالية.

أما طبعات الكتاب فأولها كانت بالهند كلكوتا منذ عام ١٨١٤ إلى عام ١٨١٨ وآخرها طبعة بيروت عام ١٩٥٦ (٢).

ومنذ ترجمة (غالان) فقد كتبت عن ألف ليلة وليلة (مئات الدراسات والأبحاث والأطروحات واستلهم من قصصها الموسيقيون والروائيون والمسرحيون والرسامون والسينمائيون والنحاتون والشعراء في كثير من تأليفهم ونتاجاهم الفنية والإبداعية) (٣).

لقد أصبحت حكايات ألف ليلة وليلة منهلاً ثر استقى منه الكتاب المسرحيون في العالم مادة لمسرحياتهم، وموضوعاً مثيراً يحفز مخيلتهم، وذلك لما تتوفر عليه من أحداث مشوقة وشخصيات متنوعة.

ومن ابرز أولئك الكتاب (جول سوبرفيل) في مسرحية (شهرزاد) التي مثلت عام ١٩٤٨ (٤) و(كالدرون) في مسرحية (الحياة حلم) التي أخذت من حكاية (النائم واليقظان) (٥). وكذلك مسرحية (حذاء أبي القاسم الطمبوري التي كتبها (اوغست سترندبرج) مستوحياً فيها أحدى موضوعات ألف ليلة وليلة (٦).

وقد تأثر الكتاب المسرحيون العرب بذلك الجو السحري الذي يغلف الحكايات والأحداث المشوقة التي تحتويها. فكان ذلك التأثر في بداياته يكاد يكون نقلاً حرفياً بصياغة درامية بسيطة وابرز دليل على ذلك التأثير هو مسرحية (أبو الحسن المغفل وما جرى له مع هارون الرشيد) لمارون النقاش عام ١٩٤٩. ولو نظرنا إلى ذلك النص لوجدنا أن الكاتب تعامل مع النص التراثي تعاملاً سكونياً اتسم بالنقل الحرفي للحكايات والأحداث والتعامل السطحي مع الموقف دون أن يكون لذلك دور في معاصرتها ومنحها الهوية، بل جعل من تلك الحكايات مادة جامدة ومعلومات تنقل من التاريخ فقط.

ثم جاءت الأحداث السياسية في الوطن العربي وخاصة بعد نكسة الخامس من حزيران ١٩٦٧، التي وضعت الكاتب العربي أمام حقيقة حضارية تتمل بضرورة مواجهة العدو وتأشير مواطن الخلل قي الواقع العربي التي أدت إلى الهزيمة. فكان عليهم العودة إلى التراث واستلهامه ومن ثم صياغته برؤية معاصرة، الهدف منها هو انتقاد ذلك الوضع من خلال رموز تاريخية، وهي المحاولة من سطوة الرقيب حيث غياب

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الحرية في التعبير. وكان من ابرز كتاب هذا الاتجاه (الفريد فرج) في مسرحية (حلاق بغداد)، و(سعد الله ونوس) في مسرحية (الملك هو الملك) حيث تناول الحكايات التراثية وقدمها عبر معالجة معاصرة، وهو ما يسمى بتسييس المسرح.

وللمسرح العراقي نصيب وافر في استلهام حكايات ألف ليلة وليلة على يد كتاب كثيرين من أمثال (عادل كاظم) في مسرحية (الموت والقضية) و(أحزان الدولفين الأحدب) و(محي الدين زنكنة) في مسرحية (حكاية الطبيب صفوان) و(يوسف الصائغ) في مسرحية (الباب) و(قاسم محمد) في مسرحية (كان يا ما كان) و(فلاح شاكر) في تسع مسرحيات من أعماله.

وقد تناول ذلك التأثر بالحكايات دراسات عديدة، ووجدت الباحثة أن اثر حكايات ألف ليلة وليلة في مسرحيات الكاتب العراقي (فلاح شاكر) موضوع جدير بالدراسة والبحث وهو إجابة للسؤال: ما هو اثر حكايات ألف ليلة وليلة في مسرحيات فلاح شاكر. ومن السؤال جاءت صياغة العنوان.

أهمية البحث

تتجلى أهمية البحث في كونه يفيد الدارسين والمهتمين بفن المسرح، وكذلك الممثلين والنقاد والفنيين، للاطلاع على الملامح الدرامية في حكايات الليالي ومديات تأثيرها الايجابي في إيجاد نص مسرحي عربي أصيل.

أهداف البحث

١. التعرف على اثر حكايات ألف ليلة وليلة في مسرحيات فلاح شاكر.
٢. التعرف على الملامح الدرامية في حكايات ألف ليلة وليلة.

حدود البحث

الحدود الزمانية: تنحصر بين عام ١٩٨٢-٢٠٠٠.
الحدود الموضوعية: النصوص المسرحية التي تأثرت بحكايات الليالي.

تحديد المصطلحات

اثر:
اثر فيه: ترك فيه أثراً. ((تأثر)) الشيء: ظهر فيه الأثر. وتأثر بالشيء: تطبع فيه. وتأثر الشيء: تتبع أثره.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الأثر – الأثر: بريق السيف، واثر الجرح بعد البرء.
الأثر: العلامة، ولمعان السيف، الإثارة: العلامة، وبقية الشيء (٧).
الأثر: ما بقي من رسم الشيء وضربة السيف. اثر الحديث ذكره عن غيره.
حديث مأثور: أي ينقله خلف عن سلف (٨).

حكاية:

حكى عنه الكلام يحكي (حكاية) و(حكا) يحكو لغة، وحكى فعله، و(حاكاه) إذا فعل مثل فعلـــه. والمحاكـــاة المشاكلة. يقال فلان يحكي الشمس حسناً ويحاكيها بمعنى جمالها (٩).
حكى الشيء حكاية: أتى بمثله. وشابهه. يقال هي تحكي الشمس حسناً. وحكى عنه الحديث نقله. فهو حاك. والجمع (حكاة) وهو حكَاء.
(الحكاية): ما تجلى وتقص، واقع أو تخيل. والحكاية: اللهجة. تقول العرب: هذه حكايتنا (١٠).
(حكى) الحكاية كقولك حكيت فلاناً أو حاكيته، وقلت مثله أو قلت مثل قوله سواء لم أجاوزه (١١).
وقد وردت الحكاية في قاموس (لاروس) بالتعريف التالي: القصة قديماً حكاية حقيقة أو مصطنعة أو منثورة في قالب قصصي. وهي اليوم عمل أدبي من نسج الخيال، يصور بالنثر أحداثاً متخيلة منمقة بقصد اســـتثارة القارئ وجذب اهتمامه (١٢).
وتعتمد الباحثة التعريف الأخير كتعريف إجرائي.

الموروث

ـــ انه المواد الثقافية الخاصة بالشعب، أي الثقافة العقلية والاجتماعية والمادية.
ـــ هو العناصر الثقافية التي خلقها الشعب.
ـــ هو تسجيل أمين للبيئة التي أنتجته وعليه ترتسم أكثر خصائصها أصالة وعمقاً تمثيلاً لمواصفات تلك الروح.
ـــ انه عنصر الثقافة التي تتناقل من جيل إلى آخر.(١٣)

الفصل الثاني: الإطار النظري

المبحث الأول / الأصول التاريخية لحكايات ألف ليلة وليلة

تحتفظ حكايات ألف ليلة وليلة، بنكهة خاصة لا تزول، هي مزيج من السحر والخيال الخصب بـــشكل لا حدود له وتمثل ألف ليلة وليلة قمة الأدب الشعبي العربي في جمالها وروعتها ذلك لامتيازهـــا بالـــسهولة والعفوية والأسلوب الذي يسف أحياناً ويرتفع أحياناً أخرى، مصوراً أجواءً شعرية وفنية راقية ومستـــعيداً

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

لبعض التقاليد والعادات العربية الممتزجة بخيال جامح بصور حافلة بالحياة والمتعة والبهجة تعكس أحلام الناس وآمالهم برؤية عجيبة من الحوادث الخيالية والمخلوقات الخرافية.

ومع كل ذلك نشعر بان هناك أرضية واقعية إنسانية لتلك الخيالات الحالمة والمشاعر الجياشة والحب العنيف والوقائع المهلكة، حيث تجري اغلب حوادثها في العصر العباسي وفي عهد الخليفة (هارون الرشيد).

ومثلما تنوعت وتعددت الحكايات في ألف ليلة وليلة، فقد تنوعت الآراء وتعددت في أصولها ونسبها ومؤلفها والعصر الذي كتبت فيه. وقد وجدنا أن نستعرض تلك الآراء للوقوف على مضامينها ودلالاتها.

ومن تلك الآراء في أصل الحكايات ما يورده المؤرخ العربي (أبو الحسن المسعودي/٣٤٦هـ) في كتابه (مروج الذهب) حيث يقول: (ومن الكتب المنقولة إلينا والمترجمة من الفارسية والهندية والرومية، كتاب هزار افسانة. وتفسير ذلك من الفارسية إلى العربية ألف خرافة، والخرافة الفارسية يقال لها افسانة. والناس يسمون هذا الكتاب ألف ليلة وليلة).(١٤)

نلاحظ أن المسعودي يعد كتاب ألف ليلة وليلة كتاباً مترجماً عن اللغات الأجنبية، وهو ينفي بهذا الأصل العربي للكتاب. وقد يتبادر إلى الذهن السؤال المهم في هذا الباب، وهو ما شأن الحكايات والوقائع والأماكن العربية، والسلوكيات العربية الإسلامية التي تحكم تصرف الشخصيات والظروف العربية الأصيلة التي تقع فيها الحكايات، وهو ما سوف نجيب عليه في ما يلي من ثنايا البحث.

ومن الآراء التي تؤيد المسعودي في نظريته تلك هو رأي (ابن النديم /٣٨٥هـ) في كتابه (الفهرست) حيث يقول: (أن أول من صنف الخرافات، وجعل لها كتباً وأودعها الخزائن، وجعل بعض ذلك على ألسنة الحيوان هم الفرس الأول، ثم اغرق في ذلك ملوك الأشغانية وهم الطبقة الثالثة من ملوك ألفرس، ثم زاد ذلك واتسع في أيام ملك الساسانية، ونقله العرب إلى اللغة العربية، وتناوله الفصحاء والبلغاء فهذبوه ونمقوه وصنفوا في معانيه ما يشبهه. فأول كتاب في هذا المعنى كتاب هزار افسانة ومعناه ألف خرافة. وقد قيل انه الف لهماي ابنة بهمن).(١٥) ولتأكيد الرأي السابق بنفي الأصل العربي للحكايات يضيف (ابن النديم): والصحيح – إن شاء الله- إن أول من سمر بالليل الإسكندر، وكان له قوم يضحكونه ويفرحونه، لا يريد بذلك اللذة وإنما كان يريد الحفظ والحرس. واستعمل بعده الملوك كتاب هزار افسانة ويحتوي على ألف ليلة وعلى دون المائتي سمر، لأن السمر ربما حدث به عدة ليالي، وقد رأيته بتمامه، دفعات، وهو بالحقيقة كتاب غث بارد الحديث). (١٦)

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ولا يعدم رأينا القول بأن ما قصده (ابن النديم) إنما هو كتاب آخر، أو على الأقل كتاب يشبهه في بعض جوانبه، كتاب ألف ليلة وليلة، وليس من المفروض أن يكون الكتاب نفسه. لذلك يفسر قوله على انه كتاب مترجم عن الفارسية.

وفي محاولة التوفيق بين الآراء، أو تقديم مقاربة معقولة لأصل الحكايات فان الموسوعة العربية الميسرة تورد في مادة ألف ليلة وليلة (أن الليلي لم تخرج بصورتها الحالية، وإنما ألفت على مراحل، وأُضيفت إليها على مر العصور الشيء الكثير، وأن الجزء المترجم عن الهزار افسانة الفهلوية اقل الأجزاء شأناً وأصغرها حجماً، لأن قصصها تمثل بيئات شتى خيالية وواقعية، وأكثر البيئات الواقعية بروزاً، مصر ثم العراق ثم سوريا). (١٧)

وهذا الرأي لا يبعد عن الحقيقة كثيراً، لاسيما إذا عرفنا أن الحكايات مجهولة المؤلف، ومن الأحرى قد تكون تناقلت عبر العصور ثم وصلت إلى ما هي عليه. فليس من الغريب أن يكون قد دخل تلك الحكايات ما تناقله التجار والمتجولون بين البلدان.

ولكن من اللافت للنظر أن بعض الباحثين يجزم بأصلها غير العربي، كما تقرر الباحثة (سهير القلماوي) حين تذكر (أن الكاتب كان معروفا،وانه ترجم منذ أيام المأمون أو المنصور فيما ترجم في أيامهما من آثار غير عربية). (١٨)

ولكن هناك من الباحثين من لا يقف عند أصولها العربية فقط، بل انه يصف كاتبها العربي أيضاً كما يقول (الشيرواني) في مقدمة الطبعة التي حققها لليالي (إن واضع الكتاب، كاتب سوري، جعله في لغة بسيطة وسهلة متوخياً تعليم اللغة العربية للراغبين فيها أكثر مما توخى في إسعاد الناس). (١٩)

ويؤيد هذا الرأي الباحث (رينيه خوام) حيث يقول (أتاحت لي المخطوطة التي حصلت عليها تحديد هوية الكاتب، وهو مفكر عربي عاش في الحدود الصينية، لكنه اضطر بسبب الغزو المغولي النزوح إلى الشام حيث عاش في القرن الثالث عشر الميلادي).(٢٠)

ويعود (ابن النديم) بما يشبه مناقضة لرأيه السابق وهو يورد أن أصل الحكايات عربي صرف حيث يذكر قول (محمد بن إسحاق) بأنه (ابتدأ أبو عبد الله محمد بن عبدوس الجهشياري صاحب كتاب الوزراء بتأليف كتاب اختار فيه ألف سمر من أسمار العرب والعجم والروم وغيرهم كل جزء قائم بذاته لا يعلق بغيره. واحضر المسامرين فأخذ عنهم أحسن ما يعرفون ويحسنون، واختار من الكتب المصنفة في الأسمار ما حلى بنفسه وكان فاصلاً. فاجتمع له من ذلك أربعمائة ليلة، وكل ليلة سمر تحتوي على خمسين ورقة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

واقل أو أكثر ثم عاجلته المنية قبل استيفاء ما في نفسه من تتميمه ألف سمر. ورأيت من ذلك عدة أجزاء بخط أبي الطيب الشافعي). (٢١)

وفي هذا القول ما يثبت أصول الكتاب العربية، ولكن هذا لا ينفي أن يكون ذلك المؤلف العربي قد استفاد من حكايات كانت منتشرة في زمانه مما يتناقله الناس شفاها أو مما يمكن أن يكون قد ترجم من كتاب (هزار افسانه) وطوعها الكاتب بأسلوب وأجواء غريبة.

وأصبحت الحكايات بالنتيجة منسوجة قصصية عربية استفادت من عملية الانفتاح الحضاري على ثقافات الشعوب الأخرى، كون تلك الحكايات هي موروثات شعبية، ومن أهم خصائصها أنها ملك للإنسانية دونما تحيز إقليمي.

ولا ينقص من قدر حكايات ألف ليلة وليلة (أن بعض قصصها مقتبس في بادئ الأمر من بلاد الهند وفارس ثم لم يلبث المؤلفون العرب أن حاكوا قصصاً على غرارها وتطور ذلك التأليف حتى تحرر من الأصل الأجنبي، واتخذ الطابع العربي الأصيل. وعلى ذلك نستطيع القول أن الأغلب الأعم من مجموعة هذه القصص التي غزت بلاد العالم المتحضرة عربية دون شائبة، قصص ألف ليلة وليلة معروفة في أرجاء الدنيا بأنها قصص عربية). (٢٢)

وتتسع دائرة النقاش وتتعدد بتعدد حكايات الليالي وتنوعها، وينبع كل رأي من خلال الدوافع والمسببات التي يعتمدها الباحث في دعم وجهة نظره. وإجمالاً يمكن القول بأنه ليس هناك رأي مطلق في هذه القضية، وإنما هناك رأي يرجح بأسبقية كبيرة، ذلك لتوفر ظروفه الموضوعية المؤيدة.

ويمكن إضافة نقاط الترجيح عن أصول الليالي العربية في عدة نقاط كالآتي:

١. أن أكثر أبطال وشخصيات الحكايات هم عرب مسلمون.
٢. أن مسرح الأحداث هي ما يقع في بلاد الرافدين على ضفاف دجلة والفرات، وفي بلاد النيل.
٣. في الحكايات إشارات كثيرة إلى السحر والجن، وهي من المعتقدات التي كانت شائعة في بلاد العرب.
٤. ذكر علاقة الجن وخوفها من خاتم سليمان مستوحاة من قصص القران الكريم.
٥. ذكر الأديان السماوية وعلى رأسها الإسلام، دليل على عروبة الليالي.
٦. تتضمن الليالي قصصاً وأحاديث كثيرة عن موسى وداود وآصف الذين كانوا مجهولين من قبل الأقوام الأخرى.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

٧. بما أن الحكايات هي من الموروث الشعبي، ففيه تتلاشى الحدود الجغرافية حيث نجد أن الحكاية الواحدة في آثار أمم أخرى. وهي مستقاة من أصول أسطورية واحدة، وقد استقاها كل شعب وطوعها وفق ظروفه وبيئته.

٨. أن وجود بعض الحكايات الأجنبية بين ثنايا الليالي العربية هو دليل على حيوية وانفتاح الحضارة العربية وتلاقحها مع الحضارات الأخرى.

وبناء على ما تقدم يمكن للباحثة أن تؤكد على أن ألف ليلة وليلة، سمر وأساطير وتاريخ وتعاليم وشعب، هي مجموعة حكايات ونوادر وأخبار مسلية وضعت على لسان شهرزاد لترويها ليلاً على عريسها الملك شهريار الذي هزته الخيانة الزوجية فزعزعت ثقته بالنساء ودفعته إلى الانتقام منهن في أشخاص عرائسه من عذارى شعبه.

ولم تكن ألف ليلة وليلة زاد شهرزاد وحدها ووسيلتها لتنقذ بها حياتها وحيلة بنات شعبها فحسب، بل كانت أيضا زاد الرواة الشعبيين في المدن والحواضر العربية على حقب متطاولة من الزمان.

كما تعرض الليالي صوراً لأحداث عاشتها الشعوب الشرقية عامة والشعب العربي خاصة لتعارض بين واقعها وأحلامها أو لتفسر صراعها الساذج وكفاحها في سبيل تفهم القوى الخارقة الخيالية التي تستخدمها في تحقيق أغراضها وأمانيها أو تصطدم بها أو تبتعد عنها حينا آخر، أما جهلا أو خشية منها.

وإذا كانت حكايات ألف ليلة وليلة، قد ارتبطت بالذاكرة الشعبية كمادة مسلية حية، فأنها أيضاً كانت منبع الهام لمخيلات الكتاب والفنانين في شتى بقاع العالم.

المبحث الثاني: اثر حكايات ألف ليلة وليلة في المسرح العالمي

تعد حكايات ألف ليلة وليلة، معيناً لا ينضب زاخراً بالرموز والمعاني، غنياً بالدلالات التعبيرية ومادة أولية للفنون والآداب على مختلف ألوانها وأساليبها، وقد أثارت الحكايات العربية اهتمام الأدباء في العالم ومنهم المسرحيون بشكل خاص.

وقد جاء ذلك الاهتمام بعد أن ترجمت على يد الأديب الفرنسي (انطوان غلان) ومنذ ذلك الحين فأن (كافة النسخ ولحين ظهور ترجمة لين عن العربية، كانت مأخوذة من نسخة غلان الفرنسية). (٢٣)

ومنذ تلك الترجمة فأن الكتاب والأدباء والمثقفين كانوا يولون اهتماماً كبيراً بهذا الأثر ويستلهمونه في كتاباتهم حتى (أن فولتير كان يتمنى أن يفقد الذاكرة ليستعيد قراءات الليالي من جديد). (٢٤)

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وقد كانت الليالي العربية بمثابة الوجه الإعلامي لجانب مغمور من الحضارة الإنسانية بالنسبة للغرب فمنذ ترجمة (غلان) ظن الفرنسيون ومن اخذ عنهم الثقافة، أنها صورة صادقة تنعكس عليها حياة الشرقيين وأضافوها إلى عجائب الرحلات واعتمدوها لوصف الفردوس الأرضي. ذلك الفردوس المتمثل بالشرق مكاناً وشهرزاد وشهريار شخوصاً تحاكي الواقع لتحلق في عوالم متخيلة تتقلك في أرجاء الكون.

ولم يتوقف أثر الليالي عند هذا الحل بل (لو نظرنا بتمعن أكثر لتبين لنا بأن هذا الكتاب سبب في اندحار الكلاسيكية في بلد عريق كفرنسا وظهور الرومانسية. فقد عملت قصص الليالي كتاب الثورة الفرنسية من أمثال فولتير وديدر ووجان جاك روسو ومونتسيسكو، أسلوباً جديداً في التهجم على الأوضاع السياسية والاجتماعية في فرنسا، إذ اخذوا يصورون ملك فرنسا على صورة خليفة، والكنيسة بشكل جامع، فيهاجمون الملك والكنيسة اشد هجوم). (٢٥)

ولعل ابرز عمل مسرحي في المسرح الأوربي تأثرا بحكايات الليالي هو مسرحية (شهرزاد) للكاتب ألفرنسي (جول سوبرفيل) حيث تبدأ أحداث المسرحية كما تبدأ حكاية شهرزاد باكتشاف شاه زينان خيانة زوجته، وهجرته إلى مملكة أخيه شهريار، حيث يفاجئ بخيانة زوجة أخيه أيضاً.

والمسرحية تعالج محور حكاية الإطار المتمثلة في عزم شهريار أن يقتل كل ليلة عذراء بعد أن يتزوجها. لكن شهرزاد تفلح في إشغاله كل ليلة بحكاية تجعله متشوقاً لمتابعتها في ليلة أخرى حتى تفلح في النهاية بعدم قتلها.

ومن المسرحيين الذين استلهموا الحكايات في مسرحهم (فولتير) حيث كتب (زاييـر) سنة١٧٣٢. و(ليسنج) الذي كتب مسرحية (علاء الدين) ثم (فيرون) الذي كتب مسرحية (ألف ليلة وليلة). وكذلك الكاتب (اولنيثلاكر) الذي كتب مسرحية (علاء الدين) وقد تأثر (بومارشيه) بأجواء الليالي حيث كتب مسرحية (حلاق اشبيلية). (٢٦)

وفي المسرح الإنكليزي كان التأثر بشكل أوسع وأكثر من سابقه حيث كان معدو المسرحيات والميلودراميون يعون شغف الذهن الرومانسي بالطبيعة المغرية لحكايات شهرزاد أبان فجر التحولات الجديدة في بيئة المجتمع الانكليزي، فأنهم أقدموا على هذا المخزون الثري ينهلون منه حوادث وتفاصيل ومشاهد بقصد تطمين الطلب الشعبي المتزايد على المشاهد المسرحية والإيماءات وعروض المشجاة.

ومن المسرحيات التي تأثرت بالليالي مسرحية (الليالي العربية الحديثة) التي كتبها (أرثر بيكت) سنة ١٨٧٧. وهي تفصح عن نزعة ساخرة مريرة كالتي درجت عليها اغلب كتابات تلك الفترة.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

كما نجد مسرحية (علي بابا و ٣٩ لصاً) تأليف (أي.جي. بايرون) سنة١٨٦٣. حيث يدع (نذل) مسرحيته يحكي فنونه وقدراته، حين يوصي الآخرين بأحسن أساليب السرقة والاحتيال في هذا العصر تتلخص في تقمص أسلوب حديث وارتداء ملابس أنيقة وإنشاء شركات مزيفة وسرقة أموال الأرامل. (٢٧)

وحيث أن هذه الكتابات الساخرة والإيحائية كانت تبغي راحة ومتعة جماهير الطبقات الوسطى المتزايدة بعد التوسع المدني، فأنها حققت نجاحاً كبيراً وهي تسخر من الطبقة الرأسمالية المتنامية في الوقت نفسه الذي تغذي فيه اللهثات وراء المتعة والفكاهة السريعتين.

ومن الكتاب الذين كتبوا للمسرح الانكليزي مسرحيات تأثروا بها بحكايات الليالي، الكاتب (سدني كرندي) حيث كتب مسرحية الليالي العربية عام ١٨٨٧ وهي ملهاة مبهجة ومسرة بسبب معرفة كاتبها الضليعة بالإشكالات الفاكهية المترتبة على المفارقات والمواقف غير المنسجمة أو المنطقية، لقد كان بطله مستوعباً للحكايات الشهرزادية استيعاباً فكرياً، وكان أن سهل عليه ذلك تقمص دور الرشيد في مغامراته الليلية. (٢٨)

أما الكاتب (اف. انستي) فقد كتب (إبريق النحاس) سنة١٩٠٠ وقد (أفاد من ألاعيب شهرزاد ليبرز مشاهد موفقة في إثارة الفكاهة، بحيث لم يعد بالإمكان الاطمئنان إلى سذاجة المستمتع والمشاهد. ولتوفر الآخرين في تلك المرحلة على العلوم والمعلومات لم يعول "انستي" كثيراً على العنصر الخارق مباشرة، فحول جني المصباح السحري إلى ممثل كوميدي يفرض على الآخرين أداء أكثر المخاطر والمغامرات تسلية ومتعة، أي أن العنصر الذي كان يبعث الرهبة والخوف في نفوس الرومانسيين الأوائل تحول على يديه إلى مادة لتسليه والارتياح ألفكاهي). (٢٩)

ومن المسرحيين الذين تأثروا بأجواء الليالي الكاتب (جيمس الراوي فللكر) حيث كتب مسرحية (حسان) عام ١٩٣١. وهو كاتب ممن يطلق عليهم اسم (الشعراء المسرحيين الجدد) وكان رومانسياً متأثراً بثقافة القرن التاسع عشر وما برز فيه من اهتمام بالشرق وحكاياته وأساطيره نتيجة لنشاط المستشرقين أو الاستعمار المباشر.

وكانت ألف ليلة وليلة، أو ما عرف في الغرب باسم الليالي العربية ذات جاذبية وسحر في نفوس الغربيين. ومن الواضح أن (فللكر) قرأ هذا التراث المدهش وتأثر به تأثراً واضحاً، كما يبدو انه كان على معرفة باللغة العربية. وهو كاتب وشاعر لم يكتف بالاستمتاع بقراءة مجموعة قصص شهرزاد وحكاياتها العجيبة، بل استوحى منها عناصر هذه المسرحية التي صاغها للتعبير عن مجموعة أفكار كانت في ذهنه.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وترى الباحثة أن (فللكر) استلهم أجواء الليالي وان لم يقتصر على قصة محددة، بل اتخذ من جملة شخصياتها المشهورة أداة ووسيلة للتعبير عما أراد أن يقدمه. فالمسرحية تحتوي على قدر كبير من المأساة والصراع والمواقف واللوحات الراقصة، مما يشكل فسيفسائية متعددة الألوان تقدم للقارئ متعة ذهنية، وللمخرج حرية الحركة والتنوع فيما يعرضه للجمهور. (٣٠)

وللمسرح السويدي كتب (اوغست سترندبرج) مسرحية (أبو القاسم الطنبوري) المعروف بتمسكه بحذائه أو تمسك الحذاء به. وتقع المسرحية في خمسة فصول تتحدث عن الطنبوري الشحيح وابنته التي تنأى عن الزواج لأنها رأت حلماً لعصفورين ذكراً وأنثى، حيث يسقط الذكر في الشبكة فتنقذه الأنثى، ومرة تسقط الأنثى في ذات الشبكة فيتركها الذكر منصرفاً عنها، لكن أجيراً يقنعها بحبه فيتزوجها. بينما يظل الطنبوري في صفحات المسرحية متمسكاً بحذائه حتى يترك له الخليفة حذاءً جديداً، بدلا من حذائه القديم فيحمله ويمشي حافيا – كعادته- حفاظاً على حذائه الجديد. (٣١)

المبحث الثالث: أثر حكايات ألف ليلة وليلة في المسرح العربي والعراقي

إن أول من تأثر بحكايات الليالي هو الفنان المسرحي (مارون النقاش) حيث كتب مسرحية (أبو الحسن المغفل) عام ١٨٤٩ متأثراً فيها بأجواء الليالي وخاصة حكاية (النائم واليقظان) وهي الحكاية الثالثة والخمسون بعد المائة. وبذلك يمكن القول أن بداية المسرح العربي كانت تراثية، وهذا ما ساعد على نمو وتطوير النزعة التراثية لدى الدراميين العرب، لان التراث يمثل ماضي الأمة المؤثر في حاضرها ومستقبلها.

ومن الكتاب العرب الذين استلهموا حكايات الليالي الكاتب العربي (توفيق الحكيم) حيث ألف أربع مسرحيات مستوحاة من ألف ليلة وليلة وهي: علي بابا / خاتم سليمان / شهرزاد / ألف ليلة وليلتان. ويظهر التوظيف جليا في مسرحية شهرزاد عام ١٩٣٤ التي تبدو شخصيتها لشهرزاد لغزاً يسعى دوما إلى حله. لكن أجوبتها لا تشفي غليله إلى معرفتها، فيرحل بصحبة الوزير بحثا عن الحقيقة ثم يعود يائساً.

وبذلك يقدم المؤلف عبر هذا اللغز مشكلة المعرفة وعلاقتها بالمادة والنفوذ. وهذا ما عالجه الحكيم في مسرحية ألف ليلة وليلتان عام١٩٤٨. حين تكشف شهرزاد للملك حقائق عن وزرائه وشعبه فيشكرها على ذلك ويتحول إلى حاكم ديمقراطي.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وفي مسرحية (توبة شهرزاد) عام١٩٥١ للكاتب اللبناني (أديب مروة) نجد شخصية شهرزاد تسجن في سجن التاريخ ثم تتخلص منه لتطلع على حياة الناس وعود إلى السجن بسرعة، وقد خاب ظنها في الحياة المعاصرة وما فيها من مفسدة التعلق بالمال وانعدام العدالة.

وتدور مسرحية (علي احمد باكثير) الموسومة (سر شهرزاد) عام ١٩٥٣ حول خمس شخصيات بعضها من ألف ليلة وليلة، والأخرى من تصور المؤلف. فالملكة (بدور) أوهمت (شهريار) أنها تخونه مع غلام فقتلها بالرغم من انه يعلم أنها ما فعلت ذلك الا لأنه يهملها ويفضل عليها الجواري والغلمان والخمر والمخدرات بسبب عجزه الجنسي.

ومن الواضح أن الكاتب يوظف أفكار التحليل النفسي وعلاقتها ببناء الشخصية، مدعماً ذلك بأفكار سياسية معاصرة كالإشارة إلى ثورة عام ١٩٥٢ وإلى شخصية الملك فاروق.

وفي مسرحية (شهريار) الشعرية التي كتبها (عزيز أباظة) عام ١٩٥٤ تتوصل (شهرزاد) إلى إقناع الملك بفداحة أخطائه بواسطة حكاياتها فتدفعه يقظة ضميره إلى عزل نفسه وإلى التزهد في ملذات الحياة الدنيا،وجعل المؤلف (دنيازاد) رمزاً للجسد والملذات المادية وجعل أختها رمزا للروح.

ولعبت (شهرزاد) دوراً هاماً في مسرحية (احمد عثمان) الموسومة (ثورة الحريم) عام ١٩٦١ إذ حرضت النساء على الثورة ضد شهريار فخضع لإرادتهن واستجاب لمطالبهن.

وظهر (شهريار) في المسرحية التي تحمل نفس الاسم للكاتب السوري (عمر النص) عام ١٩٦٢ في مظهر الضحية التي تثير الشفقة بسبب تأنيب الضمير وتعذيبه له.

وركز (فاروق سعد) في مسرحية (عودة شهريار) عام ١٩٦٨ على مناقشة مؤلف كتاب ألف ليلة وليلة الذي نظر إليه نظرة نقدية، فوجد أن الملكة لا يمكن أن تخون زوجها لان غلمان القصر جميعاً خصيان ولان (شهرزاد) لا يعقل أن تحول رجلاً سفاحاً إلى رجل طيب بمجرد سرد حكايات. (٣٢)

ومن المسرحيات التي تأثرت بحكايات الليالي مسرحية (حلاق بغداد) لافريد فرج حيث اتجه إلى التراث الشعبي ليستلهم حكايتين شعبيتين ويعيد صياغتهما بأسلوب لا يخلو من سحر النكتة ونقد كاريكاتوري، وهذا ما جعل حلاق بغداد تأخذ طابعاً احتفالياً فنتازيا، لان تعاملها مع التراث لم يقف عند حدود استلهام القصة الشعبية، وإنما تعدى ذلك إلى جعل هذا التراث إطاراً عاماً تدور فيه أحداث المسرحية ليسقط الواقع بكل تعقيداته وملابساته.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وظهر أن حكايات ألف ليلة وليلة في مسرحية (الملك هو الملك) التي كتبها (سعد الله ونوس) وهي حكاية أبو الحسن المغفل. ويجعله (هارون الرشيد) خليفة ليوم واحد ليرى ما هو فاعل بمن افقده تجارته، فإذا به يحكم بقسوة اشد من التي أحس بها في السابق حتى إذا انتهى يومه عاد إلى ما كان عليه تاجراً فاشلاً. في هذا النص يؤكد (ونوس) اتجاهه نحو تسييس المسرح. (٣٣)

وفي المسرح العراقي كان السبق للكاتب المسرحي (عادل كاظم) في مسرحية (الموت والقضية) عام ١٩٦٨ حيث وظف حكايات الليالي، وخاصة قصة الإطار وقدم من خلالها قضية سياسية معاصرة، وأعقبها في عام ١٩٨٦ بمسرحية (أحزان الدولفين الأحدب) التي وظف فيها حكاية السندباد البحري، وصاغها بأسلوب درامي معاصر.

وكتب (محي الدين زنكنة) عام ١٩٧٦ مسرحية (حكاية الطبيب صفوان) متأثراً بحكاية (الأحدب والتاجر والطبيب والنصراني). (٣٤)

وللكاتب (يوسف الصائغ) مسرحية بعنوان (الباب) عام١٩٨٦ ظهر فيها اثر حكاية السندباد البحري في رحلته الرابعة، وقدم من خلالها معالجة معاصرة تحمل مفاهيم فكرية ورؤى فلسفية.

وكان نصيب الكاتب العراقي (كريم جمعة) مسرحية (فرجة مسرحي) ولـ (قاسم محمد) مسرحية (كان يا ما كان) ولكن النصيب الأوفر للكاتب (فلاح شاكر) حيث كتب (ألف لعبة ولعبة – ألف قتيل وقتيل – ألف أمنية وأمنية – ألف رهان ورهان – ألف حلم وحلم – ليلة من ألف ليلة – تفسير الشخير – ألف رحلة ورحلة).

المبحث الرابع: الملامح الدرامية في حكايات ألف ليلة وليلة

تعد حكاية (شهرزاد وشهريار) التي افتتح بها كتاب ألف ليلة وليلة من الأساليب الفنية التي تسمى بقصة الإطار، وذلك لوجود بداية للقصة من أول الكتاب، ونهايتها في اخر الكتاب، وبذلك تكون خارج نطاق الحكايات الأخرى جميعها وواقعة في نطاقها من ناحية أخرى. ووجود تلك الحكايات (الإطار) هو الرابط الذي يصل الحكايات مع بعضها حتى وصولها إلى النهاية.

لقد افتتح الكتاب بقصة الملك الفارس (شهريار) الذي حكم البلاد بالعدل وأحبه أهل بلاده على مدى عشرين عاماً، إلى أن اكتشف أن زوجته تخونه مع عبد من عبيده، فاسودت الدنيا في وجهه وسل سيفه، وضرب الاثنين فقتلهما في الفراش. واستولى على نفس الملك الشك فلم يثق بواحدة من بنات حواء فعمد إلى خطة انتقامية سوداء، وصار يتزوج كل ليلة فتاة عذراء ينال منها بغيته ويقتلها. وعاش الملك بين

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الشكوك والدماء حتى قبض الله له (شهرزاد) ابنة الوزير وهي فتاة متعلمة وذكية، قراءة الكتب والتواريخ والسير وأخبار والأمم الماضية حتى قيل أنها جمعت ألف كتاب من التاريخ المتعلقة بالأمم السالفة والملوك الخالية والشعراء.

ودخلت (شهرزاد) إلى حياة الملك القلق كما تصفه الحكاية، ودخلت معها أختها الصغرى (دنيا زاد) فتعاونت الأختان على شفاء الملك، كما تعاونتا على أداء المهمة الفنية التي أرادها الكاتب، وهي إعطاء هيكل موحد لحكايته بدلاً من تركيبها مبعثرة.

وقد ورد قبل الحكاية الأولى أن (شهرزاد) حين قدمها أبوها للملك بكت، فقال لها الملك: مالك ؟ فقالت أيها الملك لي أخت صغيرة أريد أن أودعها. فأرسل الملك إليها فجاءت أختها وجلست تحت السرير.

وبعد أن دخل الملك بزوجته جلسوا ثلاثتهم يتحدثون، فقالت الأخت الصغرى: بالله عليك يا أختي حدثينا حديثا نقطع به سهر ليلنا. فقالت (شهرزاد) حبا وكرامة أن أذن لي الملك المهذب، فلما سمع الملك هذا الكلام، فرح بسماع الحديث.

ويلاحظ أن بقاء الأخت قد دبر له كي يساعد في تحريك الموضوع، إذ تقول لأختها ما أطيب حديثك وألطفه وألذه فتقول (شهرزاد) وأين هذا مما أحدثكم به الليلة القابلة إن عشت وأبقاني الملك. فيقول الملك في نفسه: والله ما اقتلها حتى اسمع بقية حديثها.

وهكذا رسم لنا الكاتب صورة الأمل داخل غرفة النوم، ويترك صورة الموت خارجاً متمثلاً بالأب الوزير الذي يحمل كفن ابنته تحت إبطه منتظراً جثتها على الباب، وتستمر الصورتان تتناوبان في ذهن القارئ بين الحكاية والحكاية التي تليها.

وتتوالى الليالي وتتصل الحكايات ويبقى القارئ معلقاً بين (شهرزاد وشهريار) وأختها (دنيا زاد) ولكنه يحس أن الغيوم السوداء بدأت تنقشع عن نفس الملك وان الجرح الذي كان في قلبه كما يقول الكاتب قد أوشك على الشفاء، فصار يقضي لياليه في نعيم وسرور ثم ينزل في ديوانه في النهار فيمارس أعماله اليومية المعتادة، وهكذا حتى الليلة الحادية بعد الألف، إذ تنتهي الحكاية الختامية من حكايات الكتاب، ويبقى القارئ مشدوداً منتظراً حلاً لمشكلة (شهريار وشهرزاد) التي أثيرت في أول الصفحات.

ويخبرنا الكاتب أن (شهرزاد) كانت قد خلفت من الملك في هذه ألفترة ثلاثة أولاداً ذكور، وأنها لما فرغت من حكايتها الأخيرة قامت على قدميها وقبلت الأرض بين يدي الملك وقالت له: يا ملك الزمان وفريد العصر والأوان، أنا جاريتك ولي ألف ليلة وليلة وأنا أحدثك بحديث السابقين ومواعظ المتقدمين فهل

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

لي في جنابك طمع حتى أتمنى عليه أمنية. فقال لها الملهم: تمني يا شهرزاد، فصاحت على الدادات والطواشية وقالت لهم: هاتوا أولادي، فأتوا لها بهم مسرعين.

فوضعتهم أمام الملك وقبلت الأرض وقالت: يا ملهم الزمان هؤلاء أولادك، وقد تمنيت عليك أن تعتقني من القتل إكراماً لهؤلاء الأطفال، فأن قتلتني بقوا بغير أم، ولم يجدوا من يعين تربيهم من النساء، فعند ذاك بكى الملك وضم أولاده إلى صدره وقال: يا شهرزاد والله إني عفوت عنك من قبل مجيء هؤلاء الأولاد لأني رأيتك عفيفة حرة نقية. بارك الله فيك وفي أبيك وأهلك وأصلك وفرعك، وأشهد الله أني قد عفوت عنك من كل شيء يضرك.

فقبلت قدميه ويديه وفرحت فرحاً كبيراً، وقالت له أطال الله في عمرك وزادك هيبة ووقاراً، وشاع السرور في سراية الملك حتى انتشر في المدينة كلها وكانت ليلة لا تعد من الأعمار ولونها أبيض من وجه النهار. (٣٥)

من خلال قراءة تلك الحكايات، نجد أن أبرز الملامح المهيمنة هي السرد أو القص للأحداث بوساطة شخصية (شهرزاد) التي تروي الأحداث من منطلق المعرفة المسبقة بتلك الأحداث. تلك المعرفة المستمدة من الخبرة والتجربة التي تؤهلها لمتابعة سياق الأحداث وقطعها في الوقت المناسب الذي تختاره هي.

ولا تستحوذ (شهرزاد) على صوت الحاكي للحدث دوما، وإنما يكون حديث بطل الحكاية عن نفسه وروايته للحدث بالزمن الماضي كقوله: (اعلموا يا سادة يا كرام، أنه كان لي أب تاجر وكان من أكابر الناس والتجار وكان عنده مال كثر ونوال جزال، وقد مات وأنا ولد صغير وخلف لي مالا وعقارا وضياعا. فلما كبرت وضعت يدي على الجميع).(٣٦)

نلاحظ من خلال ذلك السرد الذي يقوم به البطل يتم فيه الكشف عن الوضع الأولي الذي يمثل الزمان والمكان والهوية والحالة بشكل عام. ذلك الكشف يعطي الحكاية عنصري التشويق والإثارة الناتجة من تزامن حدثين في آن واحد، والمتشكل اتصالهما عن طريق مقولة الراوي (هذا ما كان من حكاية فلان أما ما كان من حكاية فلان فأنه .....).

وتلك انتقالة فنية ذكية استخدمت في حكايات ألف ليلة وليلة، لتعبر عن وعي فني عميق للمستوى الدلالي والفكري لربط الأحداث مع بعضها. فالحدث (بمفهوميه الأسطوري والواقعي هو رصد للوقائع التي يقتضي تلاحمها وتتابعها إلى تشكيل مادة حكائية تقوم على جملة من العناصر الفنية والنفسية والألسنية معا).(٣٧)

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ومن المؤكد أن الحدث في الحكاية لابد له من شخصيات تقوم بفعله المنجز كي تتم عملية الانتقال من مرحلة التصوير إلى مرحلة القيام بفعل حركي ينقل الأحداث إلى المرحلة التالية.

وتتميز شخصيات الليالي بالتنوع الكبير في شخوصها الإنسانية كالملوك والأمراء والوزراء والنساء والأميرات والجواري، وفيها من أشكال ممارسي المهن والحرف ما يكثر تعداده. وفيها كذلك من الشخصيات التي ينتمي للطيور والحيوانات والوحوش وفيها شخصيات الجن والعفاريت والسحرة، وفيها الواقعي والخرافي. ومن تلك الشخصيات ما خلد في اللاوعي الجمعي وفي أذهان الناس لفترات طويلة بعيداً من أن يكون لتلك الشخصيات حضور واقعي أم لا.

ولكنها اتخذت لها جزءاً حيوياً من امثولات الحكايات الشعبية مثل شخصية (شهرزاد وشهريار والسندباد ودليلة المحتالة وأبي القاسم الطنبوري وغيرهم). وهي في جملتها مفترضات فنية لشخوص متخيلة استوحاها الخيال الخصب لمؤلف الحكايات، ومن ثم دخلت ضمن منظومة العمل الكلية.

ومن المعروف أن الشخصيات التي وردت في حكايات الليالي لا تتبع بالضرورة من نفس تاريخ الشخصية الواقعية التي قدمتها الحكاية. فـ (هارون الرشيد) في الحكاية هو غيره في التاريخ مثله كبقية الشخصيات الأخرى.

وهذا يدل على مدى خصوبة وغنى مخيلة القاص الشعبي الذي لا يلتزم بمهمة المؤرخ في ذكر الشخصيات والأحداث وإنما ينحى إلى ألفنان الذي يصوغ مادته باتجاه هدفه الفني وهنا يصح القول بأن الحكايات(عبارة عن بانوراما الحياة بكل مكوناتها، لم تترك قوماً من الأقوام الا وزوجته في أحداثها، الإنس والجن والعفاريت والغيلان والبشر من روم وزنوج وسودان). (٣٨)

ولم يكن ذلك المضمون الفني الغني بمادته الأدبية الا بمثابة الإشعاع الحضاري الذي جعل الكثير من الباحثين والكتاب ينكر أصل وجوده العربي، أو انتماءه إلى كاتب واحد، أو رجوعه إلى تراث أمة لوحدها، وهذا هو سر أن تكون حكايات ألف ليلة وليلة مصدر إشعاع ثقافي وحضاري أستقى منه الكتاب مادتهم ألفنية.

فلو نظرنا إلى الجانب ألفني الخالص فأننا نكتشف أن الدوافع في التوجه إلى الليالي بين الكتاب يكاد يكون واحداً، عبر سهولة استخراج الشخصيات والحوار وتوفر عناصر التشويق والتوتر والصراع، وما يتصل بالبناء الدرامي من حيث وجود بداية ووسط ونهاية في كل حكاية، وتدرج محكم في بناء العقدة وتفرد في خصوصية سلوك ودوافع الشخصيات وارتطام مصالحها أو تكونها الخلقي والنفسي.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ومثلما تعددت الأحداث والشخصيات في الحكايات، فأنها ومن ثم تعددت وتنوعت في أمكنة ووقوع تلك الأحداث، لذلك فأن أمكنة الليالي هي عنصر بنائي في أسلوب يحكي فالمكان في الليالي فكرة قبل أن تكون له أبعاد معلومة.

والفكرة / المكان يتحول. البحر يصبح جبلاً، والنهر يصبح بستاناً، والمدينة تتحول إلى صحراء، وتبني الخيمة قصراً، والسحابة والأرض تنشقان عن عوالم ومدن وحدائق وأناس.

وبذلك كانت حكايات ألف ليلة وليلة هي المصدر لكثير من الكتاب المسرحيين الذين تأثروا بحكاياتها، وأسلوبها الفني بما يحمل من ملامح درامية، تصلح مادة غنية لمسرحياتهم إغناءها بما يكفل لها القيمة الفنية والجمالية.

مؤشرات الإطار النظري:

١. تأثر المسرح الغربي بالأجواء السحرية والخيالية لحكايات ألف ليلة وليلة، دون الولوج لمضامينها الإنسانية.
٢. أكثر النصوص المسرحية العالمية استلهمت الليالي وعالجت موضوعات متنوعة وفق طبيعة كل مجتمع والعصر الذي كتبت فيه، تدل أن الحكايات الألفية هي أدب عربي ذو سمة إنسانية تعالج قضايا إنسانية عامة.
٣. أثرت بنائية حكاية الإطار في الليالي على بناء النص المسرحي العالمي، وذلك ببنائية تتكون من بداية ووسط ونهاية متعلقة بالحدث الدرامي.
٤. أن أثر الحكايات كان مباشراً على أسلوبية الكاتب العربي قبل النكسة، ولم يطرح مضامين جديدة للحكايات في مسرحياته.
٥. أن النصوص التي تأثرت بالحكايات بعد النكسة كانت تضيف إليها شيئاً جديداً من قضايا العصر وظروف المرحلة الراهنة.
٦. فضلاً عن تعدد الآراء والطروحات الفكرية إلا أن حكايات الليالي بموضوعاتها وشخوصها وأحداثها أثبتت أنها موروث عربي أصيل.
٧. أن التراث العربي بعامة وحكايات ألف ليلة وليلة خاصة يشكل البديل الحقيقي لغياب الفعل المسرحي عن الساحة الثقافية العربية في الماضي وضرورة استلهامه وفق منطلقات الحاضر.
٨. تشترك حكايات الليالي مع الموروث العالمي بانفتاحها في التأثير والتأثر دونما الانسلاخ عن هويتها العربية.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ألفصل الثالث: إجراءات البحث

مجتمع البحث:

يتألف مجتمع البحث من المسرحيات التي كتبها (فلاح شاكر) متأثراً بها بحكايات ألف ليلة وليلة وهي: ألف لعبة ولعبة - ألف قتيل وقتيل – ألف أمنية وأمنية- ألف رهان ورهان- ألف حلم وحلم – تفسير الشخير – ليلة من ألف ليلة وليلة – ألف رحلة ورحلة.

عينة البحث:

اختارت الباحثة مسرحية ليلة من ألف ليلة وليلة لتوافرها على مستلزمات البحث من أثر لحكايات الليالي وعدها ممثلة لبقية المسرحيات.

أدوات البحث:

اعتمدت الباحثة في جمع مادة البحث على ما توفر من كتب ومقالات ورسائل وأطاريح منشورة وغير منشورة، كما مدون في هوامش البحث.

منهج البحث:

اتخذت الباحثة المنهج ألتأريخي التحليلي لجمع مادة الإطار النظري. والمنهج التحليلي في عرض وتحليل العينات.

تحليل العينة: مسرحية ليلة من ألف ليلة وليلة (٣٩)

في هذه المسرحية يبدو أثر حكاية الإطار، وهي حكاية (شهرزاد) و(شهريار) واضحاً منذ بدء المسرحية، حيث تبدأ بمجموعة من النساء يلبسن أكفاناً بيضاء، وهي تمثل (ثوب العرس.. كفن النعش). (النص ص ٢)

وتتحاور تلك المجموعة مع مجموعة أخرى يرتدين ملابس الزفاف التقليدية، ولكن بلون أسود فهن مشروع قتلى للملك (شهريار) لأن (امرأة أدخلت رجلاً مخدعها فصارت هي كل النساء، وصار هو الرجل الوحيد). (النص ص ٢)

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ويظل الملك حيث (شبح الخيانة يلاحقه يقتل شبح زوجة خانت، بفتاة بكر كل ليلة، تعب السيّاف، وما انطفأ الحقد) (ص٣). ويبرز من بين المجموعتين صوت لفتاة تعلن (اخترت أن أموت أوان نحيا معاً). (ص٤) وتلك هي (شهرزاد) الفتاة اللغز التي وافقت على الزواج من الملك رغم معرفتها بالنتيجة (ستموتين.. لن ينفعك استعطاف.. دموعك تثير ضحكه.. أنينك لا يصل أذنيه). (ص ٥)

ولكنها بإصرارها واعتدادها بنفسها تمضي رابطة الجأش والعزيمة. تدخل المخدع وتقابل الملك بثقة على أن تقول آخر كلماتها، بل إنها تروح تسخر من الملك بأن توهمه بالملاعق المكسورة المقدمة له. في حين إنها تعني بها ظاهرة الانكسار الفيزيائية عند مرور الأجسام في الماء، بل إنها تصر على أن يسمعها وتتحدّاه (أنا لا أخافك، فقد اخترت موتي، وضعت حياتي خلف ظهري، فلماذا لا تريد أن تسمعني). (ص ١٢)

ثم تضحك (شهرزاد) فيسألها الملك عن سبب ضحكها فتقول له إنها تذكرت حكاية أحد الحمقى، وهي الحكاية الأولى وعنوانها: من الحماقة أن تأخذ الدنيا بوهمك، وهي عن رجل فقير أحب ابنة الوالي، فلم تعره اهتماماً لفقره، ولكنه عندما يصبح غنياً فإنها تقدم له هدية فيرفضها. وهذه هي أحلام تراود ذلك الفقير، إنه أحمق.

شهرزاد: أرأيت يا مولاي إلى أين تقود الحماقة.

شهريار: نعم... إنه يتوهم.

شهرزاد: وَمن منا لا يتوهم ؟

شهريار: كلنا حمقى إذا. (ص١٧)

ولكن هذا لا يعجب (شهريار) فيحاول تعجيزها بطلب طبل يدق لوحده، غير أنها تفاجئه بحكاية ثانية تحت عنوان: من الحماقة أن تتوهم انك أذكى الجميع، وهي عن تاجر يقع ضحية لمجموعة من السراق والنشالين، لكنه في النهاية يقاضيهم ويفلح في تغريمهم ومعاقبتهم.

وتحضر (شهرزاد) طبلاً يدق دون أن يضربه احد، فيصرخ (شهريار) (أذني، أذني ستنفجر من هذا الطبل اللعين). (ص٢٣) وتروي (شهرزاد) الحكاية الثالثة تحت عنوان: الحماقة الخير الذي تعتقده شر الجميع. وهي تتحدث عن شاب يقع ضحية، ثرثرة حلاق، علم بحبه لفتاة.

ويستمر الطبل بالدق فيؤرق الملك، ويخرج عن صمته.

شهريار: أنت تستحقين الموت لأنك ساحرة.

شهرزاد: وكيف عرفت أني ساحرة.

شهريار: هذا الطبل.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

شهريار: أتعرف كيف يدق ؟ ليس هنالك من شيء خارق.. نحل أو جراد في الطبل. يتحرك فيسمع صوت الطرق. (ص٥٠)

عندئذ يقف (شهرزاد) منبهراً أمام ذلك الفعل. وتعاود (شهرزاد) لتقص الحكاية الرابعة السخرية: من الحماقة أن تسخر من الآخرين محتمياً بقوتك. وهي عن رجل جائر يمتلك أسباب القوة مما يجعله يضحك من ألم الآخرين.

وتحكي (شهرزاد) وما زال صوت الطبل يدق، وتسأل:

شهرزاد: أكل الطبول تمزق الإذن وتزعج الأسماع ؟

شهريار: طبلك فقط.

شهرزاد: إذن لست أنا كل النساء.

شهريار: يا إلهي.

شهرزاد: وليست التي خانتك كل النساء.

شهريار: كلكن خائنات .. حديثك خدعة.

شهرزاد: من يظن نفسه مخدوعاً فأنه يظلم نفسه قبل أن يظلم أولئك الذين يتوهم أنهم خدعوه. (ص٦٠)

تروي الحكاية الخامسة، وهي بعنوان: الحماقة أن يسبق السيف المعرفة. وهي عن الصياد الذي يلازمه النحس كظله. وعندما تلاحظ (شهرزاد) الوهن الذي يدب في أوصال (شهريار) تسارع بالحكاية السادسة تحت عنوان: الحماقة التي تحكم بما تجهل وان تصف ما لا تراه. وهي عن معلم للصبيان يعشق امرأة لم يراها.

ويسمع (شهريار) تلك الحكاية كغيرها، حيث يسمع قولها (أني على وشك أن أدخل قبري وأغلق بابه ورائي. فأي أبله أنت حتى أكون مهتمة برجل ليس برجل، بل مجرد خيال يحركه شبح خائن). (ص٨٣)

وتنتهي المسرحية، ولم تنته الحكاية لنلاحظ أن الكاتب (فلاح شاكر) اقترب في هذا النص المسرحي، نحو تطويع المادة التراثية وقف أسلوب العصر الذي يعيشه، فالملك (شهريار) في المسرحية هو ليس شخصية الحكاية. وكذلك (شهرزاد) أنها صوت المرأة المطالبة بحريتها، التي تحاجج الملك بطريقة الإقناع العقلي المباشر.

وقد أدخل الكاتب بين دفني النص المسرحي حكايات مستلهمة من ألف ليلة وليلة مثل حكاية الحلاق الثرثار أو الصياد الفقير، لكنه صاغها بأسلوب وتوجه النص المسرحي المعاصر ووفق اشتراطات الحضور الذهني للحكاية، ومعالجتها بأسلوب معاصر.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

كما انه ارتقى باللغة الحوارية بين الشخصيات أي مستوى الوعي الثقافي للشخصيات فـ (شـهرزاد) تفحم الملك بحقائق ترتفع بوعيه نحو أدراك ما هو فيه وما يجب أن يكون عليه عبر إيراد تلك الحكايـات المعبرة في مضامينها الفكرية والفلسفية.

نتائج البحث:

١. تعامل الكاتب العراقي فلاح شاكر مع الموروث الشعبي المتمثل بحكايات ألف ليلة وليلـة بطريقـة استحضار الماضي وتقديمه بأسلوب معاصر وفق رؤية تأصيلية للمسرح العربي.
٢. تأثرت لغة المسرحية بأجواء وحكايات الليالي ولغتها الشعرية التي تعتمـد البـساطة والدقـة فـي التراكيب اللغوية والتعبيرية.
٣. أن تنوع الشخوص وحكايات الليالي أعطى الكاتب المسرحي حرية واسعة في التنقل والاستزادة في الاقتباس في موضوع مسرحيته.
٤. تنوع حكايات الليالي في موضوعاتها وتعدد أماكنها واتساع رقعة الأحداث الزمنية، جعلها منبعاً ثراً يعطي الكاتب حرية أكبر في التأثر الايجابي بتلك الحكايات.

الاستنتاجات:

١. تحوي حكايات ألف ليلة وليلة على ملامح درامية تؤهلها لتكون مصدراً مهماً للكاتب المسرحي.
٢. أن المهمة الكبيرة في توظيف حكايات الليالي هي البحث عن ظـاهرة مـسرحية تعنـى بتأصـيل المسرح العربي.
٣. من خلال التأثر بحكايات ألف ليلة وليلة وصياغتها بأسلوب درامي معاصر يـدل بـأن المـوروث الشعبي هو ثقافة وحضارة متحركة، أي قابلة للاستلهام والتوظيف في كل زمان وفي كل مكان.

الهوامش

١- محمود طرشونه: مدخل إلى الأدب المقارن، بغداد (دار الشؤون الثقافية العامة) ١٩٧٨، ص٧٢.
٢- المصدر السابق، ص٨٠.
٣- عبد الجبار محمود السامرائي: اثر ألف ليلة وليلة في الآداب الأوربية، بغـداد (دار الجـاحظ للنـشر) ١٩٨٢. ص١٠.
٤- محمد طرشونه، مصدر سابق، ص١٤٦.
٥- المصدر نفسه، ص١٤٣.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

٦- عبد الجبار محمود السامرائي، مصدر سابق، ص١٠٨.

٧- المعجم الوسيط، ج ١، القاهرة (مجمع اللغة العربية) ١٩٦٠، ص٥.

٨- محمد ابن أبي بكر الرازي: مختار الصحاح، الكويت (دار الرسالة) ١٩٨٣، ص٥.

٩- المصدر السابق، ص١٤.

١٠- المعجم الوسيط: مصدر سابق، ص.١٩٠

١١- ابن منظور: لسان العرب، مادة (حكى) ط بولاق، القاهرة،١٣٠٤هـ.

١٢- محمد مفيد الشوباشي: القصة العربية القديمة، القاهرة (وزارة الثقافة والإرشاد القومي)١٩٦٤، ص٢٠.

١٣- لطفي الخوري: علم التراث الشعبي، بغداد (وزارة الثقافة والإعلام)١٩٧٩، ص٥/ص٧/ص٨.

١٤- أبو الحسن المسعودي: مروج الذهب، ج ٤، باريس، منار ١٩١٤، ص٨٩.

١٥- ابن النديم: الفهرست، القاهرة (مكتبة الاستقامة) د.ت. ص ٤٣٦.

١٦- المصدر السابق،ص٤٣٦.

١٧- الموسوعة العربية الميسرة ،دار العلم ومؤسسة فرانكلين للطباعة،١٩٥٩، مادة ألف ليلة وليلة، ص٢٠٣.

١٨- سهير القلماوي: كتاب ألف ليلة وليلة، سلسلة مكتبة الدراسات الأدبية، مصر٠(دار المعارف) ص٢٦.

١٩- رأفت البحيري: ألف ليلة وليلة،ج ١، بيروت (المطبعة الكاثوليكية) المقدمة.

٢٠- رينيه خوام: في لقاء أجرته معه عائده الجوهري، مجلة اليوم السابع، العدد٢٦٨ (مؤسسة الأندلس الجديدة للطباعة والنشر) ١٩٨٩، ص٣٤.

٢١- ابن النديم: مصدر سابق، ص٤٣٦.

٢٢- محمد مفيد الشوباشي: مصدر سابق، ص١١٦.

٢٣- محسن جاسم الموسوي: الوقوع في دائرة السحر – ألف ليلة وليلة في النقد الأدبي الانكليزي، الجمهورية العراقية (دار الرشيد للنشر)١٩٨٩، ص١٨٩.

٢٤- سهير القلماوي: مصدر سابق، ص٦٩.

٢٥- عبد الجبار محمود السامرائي: مصدر سابق، ص٩.

٢٦- ينظر،سهير القلماوي: مصدر سابق، ص٤٧.

٢٧- محسن جاسم الموسوي: مصدر سابق، ص١١١.

٢٨- ينظر: المصدر السابق، ص١٥٥.

٢٩- نفسه، ص١٥٥.

Urgent

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

٣٠- ينظر: جيمس فللكر: مسرحية حسان، ترجمة علي فهمي خثيم، طرابلس (الشركة العامة للتوزيع والنشر والإعلان)١٩٧٥، المقدمة.

٣١- عبد الجبار محمود السامرائي: مصدر سابق، ص١٠٨.

٣٢- ينظر: محمد طرشونه: مصدر سابق، ص١٣٢.

٣٣- ينظر: سعد الله ونوس: الملك هو الملك، بيروت (دار الآداب) ١٩٨٣.

٣٤- محي الدين زنكنه: حكاية الطبيب صفوان، بغداد (وزارة الإعلام) ١٩٧٦.

٣٥- ينظر: ألف ليلة وليلة، حكاية المفتتح والنهاية، بيروت ن لبنان (مكتبة دار البيان، مؤسسة الزين للطباعة والنشر) د.ت.

٣٦- ألف ليلة وليلة: الحكاية الأولى من حكايات السندباد، الليلة ٥٣٢.

٣٧- عبد الملك مرتاض: ألف ليلة وليلة – دراسة سيميائية تفكيكية لحكاية حمال بغداد، بغداد (دار الشؤون الثقافية العامة)١٩٨٩،ص١٩.

٣٨- ريكاردوس يوسف: اثر ألف ليلة وليلة في المسرح العربي، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الفنون الجميلة / جامعة بغداد ١٩٨٩، ص ٨٢.

٣٩- فلاح شاكر: مسرحية ليلة وألف ليلة وليلة، بغداد، دار السينما والمسرح، قسم الأرشيف، تسلسل ١٠١٨/٣٢.

Urgent

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com